ما لم ينشر من حوار المطران

11

لم يكن ما نشر صحفيا من الحوار الذى دار بينى وبينى الأنبا بيشوى فى حوار الساعات الست هو كل ما جرى،فقد دارت مناقشات كثيرة،وصدرت منه تصريحات كثيرة طلب هو نفسه ألا تنشر فى وقتها،لأن الظرف من وجهة نظره وقتها لم يكن مناسبا.

كنت أحاوره وفى الخلفية حرب إسرائيل على غزة،وهى الحرب التى أهلكت الحرث والنسل،وكان الأنبا بيشوى قد انتهى من بحث مطول،وصل فيه من خلال الأدلة التوراتية إلى أن ما يردده اليهود عن هيكل سليمان وحقهم التاريخى فيه ليس إلا وهما كبيرا.

كانت هذه النتيجة التى توصل إليها الأنبا بيشوى عادية للغاية،فقد توصل إليه كثيرون غيره ليس من الأقباط فقط ولكن من المسلمين أيضا،لكنه قدر أن هذه الرؤية خطيرة جدا،خاصة أنها ستخرج على الناس من خلال بحث عمى وعلى لسان واحد من أهم وأكبر رجال الدين فى مصر،وهى بذلك ستكون رؤية لها قيمة وثقل وثقة فى الوقت نفسه،وقد رأى أن إعلان هذه النتيجة من خلال بحثه يمكن أن يكون لها أضرارًا جانبية أكثر من نفعها،ولذلك تراجع عن نشر بحثه أو الإعلان عنه فى هذا الظرف السياسى الحرج.

لكن هل كان إرجاء النشر قرارا فرديا ومن خلال إرادة الأنبا بيشوى الحرة،أما أنه كان هنك من نصحه بذلك؟

الإجابة قدمها الأنبا بيشوى على طبق من ذهب، قال: إنه جلس مع ضابط أمن دولة من هؤلاء الذين يتابعون دير القديسة دميانة الذى يرأسه الأنبا بيشوى،وأنه بعد أن عرض عليه بحثه ونتائجه الخطيرة نصحه بأن يرجئ النشر لأنه لن يكون فى مصلحة أحد.

لم يناقش الأنبا بيشوى ضابط أمن الدولة فى الأمر،لم يقل له مثلا أن ما قام به ليس إلا رؤية علمية وأن نشرها فى أى وقت لا يمكن أن يكون له ضررا،وحتى لو قدر الضابط وقتا مناسبا للنشر ووقتا آخر ليس مناسبا،فإن وقت الحرب على غزة كان هو الأنسب للنشر،إذا ما فائدة البحث العلمى إن لم يوضع فى خدمة البشر وحصولهم على حقوقهم.

تصريح الأنبا بيشوى بعرض البحث الخاص به على ضابط أمن الدولة وأخذ رأيه فيه لم يكن هو التصريح الوحيد الساخن فى هذا الإطار،فقد قال أنه دائما ما ينسق مع ضباط أمن الدولة فى كل ما يخص شؤون الكنيسة،لأنه يعرف أنه لا يعمل وحده ولا يعمل فى الفراغ،وأن الرؤية الأمنية تكون مهمة فى كثير من الأحيان،بل إن ضابط أمن الدولة قد يرى ما يراه رجل الدين فى أوقات

كثيرة،ولذلك فمن المناسب أن يوضع رأيه فى الاعتبار.

هذا الاعتراف الخطير الذى ألقاه الأنبا بيشوى فى إطار حديثه عن بحث علمى قام به يفتح الباب أمام مناقشة صريحة حول الدور الذى يلعبه ضباط أمن الدولة فى حياة كبار الأساقفة،قد يكون هذا التدخل السافر والمباشر مقبولا بالنسبة للكهنة الصغار،أو رجال الدين المسيحى فى بداية طريقهم،أما الأساقفة الكبار فمن المفروض أنهم هم الذين يرسمون الخريطة العامة التى تسير على هداه وبمقتضاها الكنيسة،وهو ما يعنى أنه ليس مقبولا أن يتلقى الأساقفة التعليمات من الخارج.

وإذا كانت الرؤية الأمنية هنا واضحة وقد جنبت الكنيسة والرجل القوى فيها مزالق الزلل الذى يمكن أن يقع فيها،فما هى الأشياء الأخرى التى ينصت فيها الأنبا بيشوى لرجال مباحث أمن الدولة فيها،وهل ينفذ كل ما يصدر له من تعليمات،أو لنكن أكثر أدبا ونقول هل يمتثل الأسقف الكبير لكل ما يتلقاه من نصائح؟الإجابة عن الأنبا بيشوى وحده،الذى اعترف وبكامل إرادته بأنه يعمل بتعليمات أمن الدولة.

لقد نزل الأنبا بيشوى ضيفا بعد شهور من حوارى معه ضيفا على برنامج فى قناة النيل الدولية،وأشار إلى بحثه ونتائجه التى توصل إليه،ورغم أن البرنامج أذيع باللغة الإنجليزية أى أن أصداء بحثه الضخم وصلت إلى دوائر عالمية وليست مصرية فقط،لكن ومع ذلك فإن أحدا لم يلتفت إليه ولا إلى بحثه،ولم تثر أية مشكلة من أى نوع،وهو ما يؤكد أن الأنبا بيشوى كان مبالغا فى تأثير بحثه المهم.

لكن الأهم من ذلك أن الأنبا بيشوى فى حديثه التليفزيونى لم يشر من قريب أو بعيد إلى لقائه بضابط أمن الدولة ولا إلى الحوار الذى دار بينهما بخصوص البحث،وهو أمر مفهوم ويمكن أن أستوعبه،فليس كل ما يحدث يقال فى وسائل الإعلام العامة التى يشاهدها عدد كبير من الناس،لكن يمكن أن يقال فى جلسات

ضيقة،لأن الأنبا بيشوى يعرف جيدا أن تسريبه لكلام عن علاقاته بأمن الدولة، يمكن أن يضر صورته العامة أمام الأقباط،وهى الصورة التى يحرص على أن تكون قوية وصلبة ولا يمكن أن يقترب منها أحد بسوء.

قد يأخذ البعض على أننى سمعت هذا الكلام من الأنبا بيشوى فى جلسة خاصة وأنى لم أبادر إلى نشره فى الحوار الصحفى،وهو ما يعنى أن الأنبا بيشوى كان حريصا على ألا ينشر هذا الكلام،وهو كلام له وجاهته.

لكن الأنبا بيشوى لم يطلب وقتها عدم نشر هذه الواقعة،ولكنه طلب ألا نشير إلى نتائج بحثه الخطير فى الظرف السياسى الذى جرى فيه الحوار،حتى لا يعطى أحدا فرصة للهجوم على الكنيسة المصرية.

مساحة أخرى من الحوار تطرق إليها الأنبا بيشوى وأرجأت نشرها فى صحيفة سيارة ولها قراء بالآلاف،لقد حمل الأنبا بيشوى على زكريا بطرس،للدرجة التى أخرجه فيها من الأرثوذكسية،صحيح أنه دافع عن نفسه فى مسألة أنه لم يقل: إن القمص زكريا بطرس ليس أرثوذكسيا،لأنه لا يمتلك هذا الحكم،كما أنه لا يستخدم أبدا لفظة الكفر التى يقول البعض أنه يستخدمها.

لكن الأنبا بيشوى فعل أكثر من ذلك،عندما التمس العذر بشكل خفى لزكريا بطرس فيما يفعله،وتحديدا فى هجومه المستمر على القرآن الكريم وعلى الرسول ﷺ.

قال الأنبا بيشوى:لم يسأل أحد نفسه لماذا يفعل زكريا بطرس ما يفعله؟ولا لماذا يسلك من يسيرون على طريقه مسلكه فى الهجوم على الإسلام ورسول الإسلام وكتابه؟لم يمهلنى الأنبا بيشوى فرصة للإجابة على السؤال،ولكنه سارع بالإجابة؟

قال: إنه مع بدايات تفسير الشيخ الشعراوى للقرآن الكريم والذى أطلق عليه«خواطرى حول القرآن الكريم»،بدأ الشيخ يتعرض للديانة المسيحية بما لا

يعجب أهله وما لا يرضون عنه،وكان التليفزيون الرسمى يذيع هذه الخواطر بلا أدنى مراعاة لمشاعر الأقباط الذين يشاهدون الشيخ الشعراوى فى التليفزيون،وقد قدمت الكنيسة احتجاجات عديدة لدى المسؤولين عن التليفزيون وفى الدولة على السواء،لكن لم يستجب أحد لهذه الاحتجاجات،وواصل الشيخ الشعراوى هجومه على الديانة المسيحية،وكان الاحتقان كل يوم يزداد فى صدور المسيحيين.

هذه الحالة كما يرى الأنبا بيشوى هى التى أفرزت ظاهرة زكريا بطرس وغيره ممن يهاجمون الإسلام بنفس المنطق الذى أرساه الشيخ الشعراوى فى حلقاته التليفزيونية،وإذا كان هناك من يرى أن الهجوم على الإسلام يأتى فى صورة عنيفة وغير مقبولة،فإن الأنبا بيشوى يرى أن ذلك يجرى لأن من يهاجمون الإسلام ظلوا لسنوات طويلة يحبسون احتقانهم فى داخلهم،ولما واتتهم الفرصة عبر الإنترنت ومواقعه المختلفة وعبر الفضائيات وقنواتها المتعددة أفسحوا عما فى صدورهم من غضب ولذلك جاء الغضب عارما وشاملا وهائلا.

ما الذى يمكن أن نفهمه من هذا الكلام؟

هل نفهم أن الأنبا بيشوى يحاول فقط أن يفسر ظاهرة زكريا بطرس والذين يسلكون مسلكه؟رغم أنه يدين هذه الظاهرة وقد أعلن ذلك أكثر من مرة وفى مواطن ومواقف مختلفة،فالرجل يحاول أن يفهم فقط،والفهم لا يعنى الموافقة أو القبول،أم أن الرجل معجب بدرجة ما بما يفعله زكريا بطرس وغيره،لكنه لا يستطيع أن يصرح بذلك،لأنه كما قال فهو يعرف جيدا رد فعل المسلمين العنيف على مثل هذه الممارسات،وأنه يعيش بين مسلمين ولا يجب أن يجرح مشاعرهم.

لا أستطيع أن أتبنى إجابة قاطعة أو شافية فى هذا الأمر،فلا يمكن لى أن أتدخل فى نية الرجل أو أن أستنطقه بما لم ينطق،ولا أضع على لسانه ما لم يقله،لكننى أضع علامة تعجب واحدة على رد فعل القمص زكريا بطرس على ما قاله الأنبا بيشوى فى حقه وعنه،فقد نفى نفيا تاما أن يكون الأنبا بيشوى قال ما قال،واتهمنى بأننى

فبركت هذا الحوار،وأن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن الأنبا بيشوى.

قد يكون القمص زكريا بطرس يتعامل بخبث مع الأنبا بيشوى،خاصة أن هناك تسجيلات بصوت بيشوى ضد بطرس،وهو هنا يريد أن يحرقه ويشير إلى أنه يوافق ضمنيا على ما يفعله ويقوم به،لكن وضعه وسط المسلمين هو الذى يحرجه ويجعله يتعامل بمنطق التقية،أى أنه لا يعلن ما فى نفسه ويقينه مخافة على نفسه،وهو أمر لا أستبعده على زكريا بطرس الرجل الذى يعيش على الأكاذيب ويقتات بها.

على أية حال كان هذا ما قاله الأنبا بيشوى أما تفسيره أو ما يعقبه من معانٍ فهو أمر بينه وبين الله،ولا يمكن لى أن أساله عنه أو عليه.

المساحة الثالثة التى تراجع الأنبا بيشوى عن أن يتم فيها النشر ببساطة هى موقفه من الطوائف المسيحية الأخرى،كانت هناك ظلال على الحوار من السى دى الذى قيل:إنه منسوب للأنبا بيشوى وقال فيه: إنه يكفر البروتستنت ولا يعتبرهم يؤمنون بالمسيح.

نفى الأنبا بيشوى أن يقول ذلك على الإطلاق،فهو لا يستخدم كلمة الكفر من الأساس،أراد ألا يتعرض لهذا الموضوع،ولما وافقته على ذلك،عاد ليدخل إليه من منطقة أخرى،حيث أخذ يبرر موقفه وهجومه الدائم على الطوائف التى تريد أن تدمر الكنيسة المصرية،وتخطط ليل نهار لهدم الأرثوذكسية،حيث إنهم لا يعملون من أجل جذب الديانات الأخرى إلى ما يعتقدون،لكنهم يريدون أن يوسعوا كنائسهم على حساب الكنيسة الأم،ولذلك يبثون أفكارهم وسط الشباب الأرثوذكسى وهى أفكار فى نهاية الأمر خطر على إيمانه.

وأرد الأنبا بيشوى أن يضرب مثلا على ما يجرى فقال:هل يمكن أن أترك أولاد الكنيسة لطائفة تروج للكفر وتقول : إن الكفرة يدخلون الجنة ولاَ حساب لهم فى الآخرة،أمسك الأنبا بيشوى عن الكلام بعد أن قال هذه الجملة،ولما قلت له:أى الطوائف تفعل ذلك؟بعد تردد:قال الكاثوليك هم من يفعلون ذلك.